المصـــدر : الحياة
التــاريخ : 10-02-2007 العـــدد : 16017
الصفحـات : 11 المسلسل : 60

غير واضحة تصوير

على مائدة مبادرة الملك الصالح

عبد بن مسعود الجهني *

■ إذا رجعنا إلى تاريخ المواقف السعودية نجد أنها تضع القضية الفلسطينية باعتبارها أولوية مهمة في سياسة السعودية الخارجية، ويبرز أمامنا لقاء الملك عبدالعزيز – رحمه الله – الشهير بالرئيس روزفلت في ١٤ شباط (فبراير) عام ١٩٤٥ في البحيرات المرة في قناة السويس، حيث طالب بشدة برفع الظلم والجور والعدوان الصهيوني عن العرب.

وفي رسالة من الملك عبدالعزيز إلى روزفلت في ١٠ آذار (مارس) ١٩٤٥ ذكره بحق العرب في فلسطين، وأوضح لروزفلت ان «العرب هم سكان فلسطين منذ أقدم العصور أي منذ ٣٥٠٠ ق.م عندما سكنها الكنعانيون، واستمر العرب يسكنون فلسطين حتى اليوم وحكموها وحدهم ألفاً وثلاثمئة سنة تقريباً، ومنذ سنة ٣٣٢ ق.م لم يكن لليهود وجود في فلسطين إلى ان دخلت القوات البريطانية إلى فلسطين عام ١٩١٧، فاليهود ليسوا إلا دخلاء على فلسطين».

فالخطاب السياسي السعودي منذ عهد الملك عبدالعزيز قام على أسس ثابتة تقوم على الوسطية والتوازن مع الأخذ في الاعتبار المصالح العربية والظروف السياسية العالمية، ولهذا اكتسب المشروع السياسي السعودي أهميته واحترامه.

وقد أرسى الخطاب السياسي هذه المبادئ على ارض الواقع وتحقيق العديد من الانجازات من خلال سياسة هادئة واقعية ومنطقية، أمكن ترجمتها إلى حقائق ناصعة، من أمثلتها تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي عقب قيام العصابات الاسرائيلية بحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩، كما كان التدخل السعودي بالوساطة عام ١٩٨٣ لإنهاء الأزمة التي اندلعت بين الفصائل الفلسطينية العامل الرئيسي للإبقاء على وحدة منظمة التحرير الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني.

وتبنت السعودية دعم القضية الفلسطينية دعماً سياسياً ومادياً. فخادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز طرح مشروع إنشاء صندوقين للأقصى وللانتفاضة بمبلغ بليون دولار في مؤتمر قمة القاهرة في تشرين الأول (أكتوبر) ٢٠٠٠، تبرعت بلاده بالربع لمساندة الشعب الفلسطيني وتدعيم كفاحه ضد الاحتلال الاسرائيلي.

وخلال شهر نيسان (ابريل) ٢٠٠٢ فتح باب التبرعات الشعبية لدعم الأشقاء الفلسطينيين، فقد بلغت تلك التبرعات أكثر من نصف بليون ريال خلال أسبوع، وفي آب (أغسطس) الماضي وجه العاهل السعودي بتقديم ربع بليون دولار لدعم كفاح الشعب الفلسطيني.

ومبادرة السلام التي قدمها الملك عبدالله والتي أصبحت مشروعاً عربياً استراتيجياً للسلام بإجماع عربي غير مسبوق في قمة مؤتمر بيروت التي عقدت بتاريخ ٢٧ آذار ٢٠٠٢ بشفافيتها ودقتها تعد دعماً سعودياً للقضية الفلسطينية.

ولا شك ان لقاء مكة المكرمة الذي جاء بدعوة مباركة من الملك الصالح عبدالله بن عبدالعزيز والذي جمع الرئيس الفلسطيني محمود عباس ورئيس المكتب السياسي لحركة «حماس» خالد مشعل ورئيس الوزراء الفلسطيني اسماعيل هنية جاء لرأب الصدع بين «حماس» وحركة «فتح»، وهذا يأتي في إطار النهج السعودي لدعم القضية الفلسطينية وتوحيد الصف الفلسطيني في وجه العدو الإسرائيلي بدلاً من الاقتتال الفلسطيني – الفلسطيني.

لقد آلم ما يحدث في فلسطين الملك الإنسان عبدالله بن عبدالعزيز، وحز في نفسه المائلة للخير ان يوجه الفلسطيني رصاصه إلى صدر أخيه الفلسطيني بدل ان يوجهه إلى صدر المغتصب، وأقض مضجعه أن تسيل دماء الفلسطينيين في شوارع غزة وغيرها من المدن رخيصة من دون طائل وهي التي كان يجب ان تحقن لمواجهة العدو الغاشم الظالم.

وقد يقول قائل: كلنا آلمنا وحز في نفوسنا ما حدث بين الاخوة الفلسطينيين كعرب ومسلمين. نعم هذا صحيح، ولكن ما أحس به الملك الصالح لم يكن مجرد عاطفة تجيش ثم تخبو مع الأيام، تنفث حراً ثم تبرد، فالملك عبدالله عنده – بجانب عاطفته الفياضة – قدرة نادرة على استقراء المستقبل، ويملك إحساساً عميقاً بتوقع ما وراء الأحداث وما بينها، وقد استقرأ وأحس بالخطر الداهم الذي يمكن ان تجر إليه تلك المواجهات، وانها إذا لم تعالج فستؤدي إلى زيادة الاحتقانات والحقد والعداوات، وستشتعل نيرانها اكثر فتأكل الأخضر واليابس، وتمكن إسرائيل من تحقيق ما تريده فكل رصاصة تطلق تطلق لمصلحة إسرائيل، وكل قطرة دم تسيل تحقن في عروق الدولة العبرية لتزداد تكبراً وجبروتاً، بل ان تلك المواجهات سيكون لها أثرها على كل المنطقة، فإذا أمنت إسرائيل مواجهة الفلسطينيين نتيجة مواجهة بعضهم بعضاً فستحشد كل قواها لتحقيق أحلامها الكبرى في مد دولتها من الفرات إلى النيل.

إذاً عاطفة الملك عبدالله التي دفعته إلى دعوة الفرقاء الفلسطينيين عاطفة ايجابية يحكمها العقل، ويعقلها التحكم، وتسندها خبرات واسعة ومواقف واضحة في معالجة مثلها من المشكلات، وتقودها رؤية ثاقبة، وتحرسها نية سليمة في الدفاع عن القضايا العربية والإسلامية والسلام العالمي، ويصعد بها إلى غايتها هدف مرسوم

المصـــــدر : الحياة
التـــاريخ : 10-02-2007 العـــدد : 16017
الصفحـات : 11 المسلسل : 60

وإصرار راكز.

واستجابة الفرقاء في «فتح» و «حماس» لدعوة العاهل السعودي لم تكن لحرصهما على تسوية الأزمة فحسب، ولكن لأن الدعوة جاءت من شخصية في مكانة الملك عبدالله، فهو صاحب ثقل مؤثر محلياً وإقليمياً ودولياً يملك رؤية واضحة وقراءة متميزة لحركة التاريخ والتوازنات الدولية، ولمعرفة الطرفين بمدى حرصه على خير الأمتين الإسلامية والعربية والعمل على كل ما ينفعهما، ولمعرفتهما انه لا يرجو من وراء ذلك مصلحة شخصية أو مجداً خاصاً كما انه رجل حق يميل مع الحق حيث مال لا يحابي أحداً ولا ينحاز لفئة من دون فئة ولا يخاف في ذلك لومة لائم.

وتفاءل المسلمون والعرب بهذا اللقاء واستبشروا خيراً، وكان تفاؤلهم واستبشارهم انطلاقاً من معرفتهم بالملك عبدالله ومحبتهم له، ولا أحد ينكر ان الملك عبدالله الذي ملك قلوب شعبه، محبوب عند المسلمين والعرب، حببته إليهم مواقف مشهودة وعطاءات غير معدودة، وصاحب قلب كبير أظلهم بحبه وعطفه في محنهم، ونفس رقيقة غطتهم بغطاء عطفها في حالات الحاجة للغوث والعون والمساعدة، كما تنطلق تلك المحبة من حب العرب والمسلمين للفروسية والثبات على المبدأ، فهو في نفوسهم (الفارس) وفي مخيلاتهم (صقر العروبة) وينبع هذا الحب أيضاً من انه ملك المملكة العربية السعودية قبلة المسلمين ومهوى أفئدتهم، ومهد الإسلام، وحافظة مجده، بها ترجى وحدة المسلمين بعد شتاتهم، وفيها أمل قوتهم بعدما عاشوه من ضعف.

ان هذا الحب العميق والعاطفة الصادقة التي يجدها الملك عبدالله من جميع المسلمين والعرب، كما يجدها من شعبه الوفي داخل المملكة هي دعم لكل مبادراته الخيّرة التي يقوم بها، ولا شك انها دعم لهذه المبادرة التاريخية التي هو بصددها.

ان هذا الحب العميق والشعبية العارمة التي يحظى بها من الأمتين العربية والإسلامية قد توجت الملك عبدالله زعيماً إسلامياً وعربياً في وقت هما في اشد الحاجة إلى زعيم يوحد الكلمة ويلم الصف ويعالج الشروخ التي أصابت بناءها حتى كاد ينهار، وليس الحب وحده هو الذي توجه زعيماً، ولكن أيضاً الثقة المطلقة في حكمته ورجاحة عقله وسعة افقه وقدرته البالغة على الإقناع ومعالجة القضايا المعقدة، ومكانته الدولية التي فرضها على الآخرين بصدق توجهه وثباته على مبدئه، واستجابة لشعوره بهذه الزعامة.

وانطلاقاً من الإحساس بعظم المسؤولية على كاهله، كانت دعوته للفرقاء الفلسطينيين، وبحصافته وبعد نظره أراد ان يكون اللقاء في رحاب مكة المكرمة، أول الحرمين وثاني القبلتين، وقد أراد الملك عبدالله ان يكون المكان رمزاً، فهو يذكر بعرى الأخوة الإسلامية، حيث الغى الإسلام حمية الجاهلية، وتحكم أغراض الدنيا الزائلة، وهي حرم تحرم فيه دماء المسلمين ولو بكلمة مؤيدة أو فكرة مساندة، هو رمز إلى ان هذه البقعة الطاهرة تتوجه إليها قلوب كل المسلمين.

قال خادم الحرمين الشريفين ناصحاً أميناً لوفدي «حماس» و «فتح» قبل بدء اجتماعاتهم:

«يجب عليكم أن تجلسوا معاً بكل صدق، وتتحاوروا وتصلوا إلى اتفاق ملزم للجميع، يكون الله شاهداً عليكم فيه قبل أي احد».

وكما أحسن الملك عبدالله اختيار المكان، الديار المقدسة، فقد أحسن اختيار الحلول، وتقديم الاقتراحات السديدة والرشيدة لرأب الصدع الفلسطيني، لأنه بحمد الله يملك الحكمة وبعد النظر وصواب الرأي للأخذ بيد القادة الفلسطينيين الذين اختاروا ان يعملوا تحت إشرافه العام لتصل سفينتهم إلى بر الأمان.

وكان للملك الصالح ما أراد، ففي جو روحاني مهيب، قبالة الكعبة المشرفة رعى خادم الحرمين «إعلان مكة» التاريخي بين «فتح» و «حماس» ليضع حداً لفترة قاسية وصعبة وشاقة عاشها الشعب الفلسطيني الشقيق.

وأكد الاتفاق الشهير الذي قال عنه العاهل السعودي «انه يثلج صدور الشعب الفلسطيني ويغيظ الأعداء» على تحريم الدم الفلسطيني وتأكيد الوحدة الوطنية كأساس للصمود الوطني والتصدي للاحتلال واعتماد الحوار لحل الخلافات وإصلاح منظمة التحرير، وكلف الرئيس الفلسطيني إسماعيل هنية بتشكيل أول حكومة وحدة وطنية.

وبهذا الاتفاق في البلد الحرام الذي جزم القادة الفلسطينيون على تنفيذه يبزغ فجر جديد للمصالحة وحل الخلافات والوحدة الوطنية، فخرج الفلسطينيون يتعانقون فرحاً ومكبرات المساجد تعلو بالتهليلات مشيدة باتفاق مكة.

وهو بهذه المبادرة وبمبادرات كثيرة قبلها، يؤكد ان قلبه رحيم على أمة الإسلام، وان عقله وخبراته وتجاربه الطويلة في خدمتها، ويؤكد انه الزعيم والقائد العظيم المتفق عليه، من خلال قيمه النبيلة ومواقفه الصامدة ومثله العليا، المشير الذي لا يندم من استشاره، والرائد الذي لا يخدع أهله، وان الأمة التي أملت فيه الكثير لن يخيب أملها ان شاء الله، وعلى يديه ستطفأ نيران مشتعلة، تتعالى السنة لهيبها من أرض الرافدين حتى المحيط.

---

* مفكر سعودي - رئيس مركز الخليج العربي للطاقة والدراسات الاستراتيجية